كتاب الاوراق للصولي

من الاسفار التي حوتها دار الكتب المصرية جزء من كتاب الاوراق للصولي من اهل القرن الرابع . وقد استنسخه لخزانته العلامة احمد تيمور باشا ونظر في النسخة المنسوخة ، وجعل لها فهرساً على عادته في معظم ما اقتناه وضمه الى جملة كتبه المعتبرة . والصولي هو ابوبكر محمد بن يحيى بن العباس ترجم له ابن النديم في الفهرست بانه من الادباء والظرفاء والجماعين للكتب ، نادم الراضي وكان اولاً يعلمه ونادم المكتفي ثم المقتدر دفعة واحدة ، وكان من ألعب اهل زمانه بالشطرنج حسن المروءة ، وعاش الى سنة ثلاثين وثلاثمائة (او سنة خمس وقيل ست وثلاثين وثلاثمائة) وتوفي مستتراً بالبصرة لانه روى خبراً في علي عليه السلام فطلبته الخاصة والعامة لتقتله . وله من الكتب كتاب الأوراق في اخبار الخلفاء والشعراء ولم يتمه ، والذي خرج منه اخبار الخلفاء باسرها ، واشعار اولاد الخلفاء وايامهم ، من السفاح الى ايام ابن المعتز ، اشعار من بقي من بني العباس ممن ليس بخليفة ولا ابن خليفة لصلبه ، واول ذلك شعر عبد الله بن علي وآخره شعر ابي احمد محمد بن احمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عيسى بن المنصور ، و يتلو ذلك اشعار الطالبين ولد الحسن والحسين وولد العباس بن علي وولد عمر بن علي وولد جعفر بن ابي طالب ثم تلي ذلك اشعار ولد الحارث بن عبد المطلب ، وبعده اخبار ابن هرمة ومختار شعره واخبار السيد الحميري ومختار شعره ، قال ابن النديم وهذا الكتاب عوّل عند تأليفه على كتاب المريدي في الشعر والشعراء بل نقله نقلاً وانتحله وقد رأينا دستور الرجل في خزانة الصولي فافتضح به .

وذكر ابن النديم من كتبه كتاب الوزراء ، كتاب العبادة ، كتاب ادب الكاتب على الحقيقة (طبع حديثاً) ، كتاب تفضيل السنان ، كتاب الانواع ولم يتمه ، كتاب سؤال وجواب رمضان لابي النجم ، كتاب رمضان ، كتاب الشامل في علم القرآن ولم يتمه ، كتاب مناقب علي بن الفرات ، كتاب اخبار ابي تمام ، كتاب اخبار الجبائي ابي سعيد ، كتاب العباس بن الاحنف ومختار شعره ، كتاب اخبار ابي عمرو بن العلاء كتاب الغرر . ومما صنفه ابوبكر من اشعار المحدثين على حروف المعجم : ابن الرومي ،

ابو تمام ، البحتري ، ابو نؤاس ، العباس بن الاحنف ، علي بن الجهم ، ابن طباطبا ، ابراهيم بن العباس ، ابن عيينة ، ابن شراعة ، الصولي ، ابن الرومي . وكان اغلب فنون الصولي « اخبار الناس وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة ، وكان حسن الاعتقاد جميل الطريقة مقبول القول » . والصُّولي (بضم الصاد) نسبة الى صُول وصول رجل من الاتراك كان خود واخوه فيروز ملكي جرجان تمجسا وتشبها بالفرس .

والجزء الذي أمامنا من كتاب الاوراق يبدأ بترجمة أبان عبد الحميد اللاحقي ناقصة من اولها واخبار ابان مع الرشيد ومع جماعة من الشعراء ، وماروي في صحة دينه وغزله ومختار من شعره في المدح وغيره ، ومختار شعره في قصائده المزدوجات . وفيه ترجمة ابنه حمد بن ابان وشعره ، وترجمة ابان بن حمدان بن ابان ، وعبد الله بن عبد الحميد اللاحقي ، واسماعيل بن بشر بن المفضل اللاحقي ، واشجع السُّلمي ومختار شعره في المديح وغزله ومراثيه ، وترجمة احمد بن عمرو اخو اشجع ، وأسرة احمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون ، واحد كتاب الدنيا ، وهم ابو القاسم يوسف بن القاسم ، والقاسم بن يوسف ، واحمد بن يوسف وزير المأمون ، وعبد الله بن احمد بن يوسف ، ومحمد بن عبد الله بن احمد بن يوسف ، واحمد بن ابي سلمة الكاتب ، وهو ابن اخت احمد بن يوسف وزير المأمون .

هذه ابواب هذا الجزء من كتاب الاوراق و يدخل في النسخة التيمورية في ٣٨٥ صفحة و يغلب التحريف كثيراً على نسخة الاصل . و كيف كان فان فيه فوائد في الشعر والاخبار قلما توجد في غيره ، ولاسيما اخبار احمد بن يوسف الكاتب وشعره ونثره وشعر آل بيته وحبذا لو عُني احد الوراقين بطبعه ، فانه من المواد المتممة لاخبار الادباء والشعراء ، و يقرأوه الناس بلذة و يتداولونه مغتبطين ، لانه عنوان الادب في القرن الثالث ونموذج من حالة امتنا الاجتماعية في تلك العصور البعيدة .

وهاكم الآن نموذجات من كتاب الاوراق قال أبان ابيات بعث بها مع الفضل وأمر له بعشرين الف درهم وهي :

نشدت بحق الله من كان مسلماً ... اعم به ما قلته والعجم العرب
اعم نبي الله اقرب زلفة ... اليه ام ابن العم في رتبة النسب

وايهما اولى به وبعهده ومن ذا له حق التراث بماوجب
فان كان عباس احق بتلكم وكان عليٌّ بعد ذاك على سبب
فابناء عباس هم يرثونه كما العم لابن العم في الارث قد حجب
وفي حسن اذ قلتم فيه حجة فقد باعها لاينكر الناس اووهب
فان كان ذا حق فعمداً أضاعه وان ذا دعوى فكفوا عن الشغب
وهبه كما قلتم وليس كذاكم امازادكم عنها المطالب فاعتصب
فاهملتموها لم تروا حيلة لها الى ان اراد الله اتمام ما احب
يخط بنو مروان منها وحظكم مع الغيظ والحرمان والعيلة الحرب
نقام بها من لم يكلها اليكم ومن هو اولى بالذي بزَّ واستلب
امام بني العباس حين سما لها وبالله فيما رام ادرك ما طلب
فشرد اهلوها وأدى وصية بحبس ابن مروان فسلموا احتسب
فان كانت القربى فهم اهل حقه وهم اهلها ان كان حق لمن غلب

قال الصولي : حدثنا محمد بن علي الماوردي قال حدثنا الجاحظ قال قيل لأبان قل في الغزل كما يقول فيه ابو نواس قال : ابو نواس لم ينقل الكتب بشعر كما نقلت وانما اعمل الشعر فيما ينفعني وقال أبان :

حرمتك بعد وصالها وسئمت طول مقامها
ورمت فلم تخطئ فؤا دك مرشقات نبالها
لما رأت كلفي بها منعت قليل نوالها
ولهان ما ارضى به وأراه من اجمالها
انس الحديث وقبلة اشفي الصدا بزلالها
فاذا أردت عتابها ألجمت من إجلالها
فكر الفؤاد بها وهمُّ النـ ـفس من بلبالها
اما النهار فلا تجف العـ ـين من تهالها
وأبيت منتحي الهمو م اخوض في اهوالها
وكأن ناظر مقلتي وقف على تمثالها

وتبيت فارغة الهوى ما ان خطرت ببالهـا
لو خيرت من خلقهـا لم تعـدُ فضل كمالهـا
ماء الشباب بخدّها والحسن في سربالها
فالموت ان هي أدبرت والعيش في إقبالهـا

وقال أبان في قصيدته التي نقل بها كليلة ودمنة :

هذا كتاب كذب ومحنـه وهوالذي يدعى كليلة دمنه
فيـه دلالات وفيـه رشد وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم حكاية عن السن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذاك يسير الحفظ لذّ على اللسان عنـد اللفظ
يا نفس لا تشاركي الجهّالا في حب مذموم كأن قدزالا
يا نفس لا تشقي ولا تعنّي في طلب الدنيـا ولا تمني
ما لم ينـله احد الا ندم اذا تولى ذاك عنـه وسدم
دنياك بالاحباب والاخوان كثيرة الآلام والاحزان
وهي وان نيل بها السرور آفاتهـا وغمهـا كثير
يانفس لايحملك حب اهلك ولا أدانيك على ان تهلكي

ومنها : ومثل الدنيا كبرق الخلب من يغترر منه بسقي يكذب
وهو قياساً مثل نوم النـائم يفرحه أضغاث حلم الحـالم
حتى اذا استيقظ صار همّاً ما كان في النوم به ألمّا
فكيف بالصبر على ايام عما قليل هن لانصرام
وكيف والدنيا بلاءٌ كلهـا لا يأمن الآفات فيها اهلها

وقال من باب الاسد والثور :

وان من كان دنيّ النفس يرضى من الارفع بالاخس
كمثل الكلب الشقي البائس يفرح بالعظم العتيق اليابس

وان اهل الفضل لا يرضيهم شيءٌ اذا ما كان لا يعنيهم

* * *

وتلك اخلاق اللئيم الفاجر الكافر المغرور غير الشاكر
ما إن يزال ناصحًا نفاعا حتى يرى من حاله ارتفاعا

* * *

وربما كان هلاك الشجر في حسن الغصن وطيب الثمر
وذنب الطاووس فهو زَيْنَه كذاك احياناً وفيه حَيْنه
وباذل النصح لمن لم يشكره كطارح في سبخ ما يبذره

* * *

الرجل العاقل من لا يسكره كأس سمو واقتدار ينظره
فالجبل الثابت في اصوله لا يقدر الريح على تحويله
والناقص العقل الذي لارأي له يطغى اذا ما نال ادنى منزله
مثل الحشيش اينما ريح جرت مالت به فأقبلت وأدبرت

* * *

الرجل العاقل فيما يسدي مغتبط لكسبه للحمد
لانه باع قليلاً فانيا واعتاض من ذاك كثيراً باقيا
فأغبط الناس الكثير نائله ومدرك النجح لدين سائله
فلا تعدن ذا غنيً غنيا حتى يكون ماجداً سريا
واعلم بان الملك المشاورا ذا العقل فيما به (؟) المؤازرا
فانه يعضد بالتأييد يغنى به عن كثرة الجنود
والتابع الحازم امر الحزَمَة النصحاء غير اهل التهمة
يزداد حزماً بهم ورشدا زيادة البحر اذا ما مدا
بما يصب فيه من انهاره حتى يهيج الموج من تياره
والموت من مات كريمًا صابرا خيراً من العيش ذليلاً صاغرا

قال الصولي والاحسان في هذه القصيدة قليل . وانا عمل ابان كتاب كليلة ودمنة شعراً في قصيدته المزدوجة اعطاه البرامكة على ذلك مالاً عظيماً ، فقيل له بعد ذلك اتعمل شعراً في الزهد فعمل قصيدة مزدوجة في الصيام والزكاة يوائم بها تلك وقد وجدت هذه القصيدة وترجمتها :

قصيدة الصيام والزكاة   نقل أبان من فم الرواة

ومما اختاره الصولي من قصيدة حمدان بن ابان بن عبد الحميد بن ابان في وصف الحب واهله وهي طويلة :

مابال اهل الادب   منا واهل الكتب
قد وصفوا الآدابا   وأتعبوا الكتابا
لكل فن دفتر   منقط محبر
ففرقت أجناسا   وعلموها الناسا
بالحيل الرقيقة   والفطن الدقيقة
فأرشدوا الضلالا   وعلموا الجهالا
سوى المحبين فلم   يرعوا لهم حق القدم
في علم ما قد جهلوا   وما به قد ابتلوا
قد غلقت رهونهم   واستعبرت عيونهم
وحالفوا السهادا   وخالفوا الرقادا

وهي طويلة وكلها حكم ولطائف بديعة . وقد أورد المؤلف نكتاً واخباراً ومجوناً وضروباً من شعر من ترجم لهم في هذا السفر كلها مما يبعث على التسلية ويحمل في طياته فوائد اثيرة . وقد استغرقت اشعار اشجع السلمي نحو ربع هذا الجزء .

قال (ص ١٠٥) ابوبكر محمد يحيى الصولي : قد صرت من كتاب الخلفاء وهو كتاب الاوراق الى ذكر الشعراء الذين اول اسمائهم الف فذكرت منهم جماعة ، ثم رأيت بعض الاجلاء يحب ان اقدم له ذكر احمد بن يوسف الكاتب وآله جميعاً ، ومن قال الشعر من آبائه وولده ، فآثرت مراده واتبعت محبته ، وانا اذكر من ذلك ما سهل عليّ طلبه ، وقرب مني وجوده ، وتارك في اخبار كل واحد واشعاره بياضاً لما يجيء السماع ، وبنجعه من الاصول ان شاء الله . وهنا اخذ ينتقل المؤلف من اخبار آل احمد بن يوسف بين نثر ونظم ماهو سلوى النفوس ، وادب الرئيس والمرؤوس ، فمما آثره من النثر شذرات ورسائل نأتي بنموذجات منها ، ومن ذلك ماقاله محمد بن انس للقاسم بن صبيح : « ما زلنا في سامر نصل فصوله بتشوقك ، فيذهب ذكرك ملل السامر ، ونعسة الساهر ، فقال القاسم : مثلك من ذكر صديقه فأطراه ، وحركه الشوق اليه واغراه ، ولو ادنيتموني

باجتماعكم ، لكنت مسرعًا كأحدكم ، مسرورًا بماسررتم ، مفيضًا بما فيه افضتم » . دخل القاسم الى صديق له عليل وقد ابلّ من علته فقال له : جئتك وانا مثقل من الهم ، فلما رأيتك تجلت ظلل الغم ، لاقبال العافية اليك ، وظهور تباشيرها اليك » .

كتب يوسف بن القاسم الى ابي العباس السفاح عن عبدالله بن علي يعزيه عن ابن له توفي : « اما بعد فان احق الناس بالرضا والتسليم لامر الله جل وعزّ ، من كان امامًا لخلق الله وخليفةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتعزّ امير المؤمنين بفهمك ، وارجع في وعد الله جل وعز من الصابرين الى علمك » .

حدث احمد بن يوسف عن ابيه قال : لما قدم ابي بغداد قصده اخوانه وداعوه فلزم الشراب معهم والسماع فقالت له امه ، يابني قد ترى كثرتنا ، وما يلزمك من نفقتنا ، وان ادمت الشراب اضعفنا وافقرتنا ، مع سيئة لك في دنياك ، وتزويده لك الوزر الى أخراك ، فقال : حسبك والله لا ولَج لي رأس ابداً . فما شرب حتى مات » .

وكان يوسف بن القاسم مع عبدالله بن علي وكان يبره كثيراً ويوجه بره مبتدئًا في رأس كل شهر ، فغفل عنه شهرين ، فكتب اليه ابياتاً يذكره بمعاودته ، فوقع في رقعته : « لم يكن تأخير برّنا عنك لبخل وضن ، ولا إهمال وتناس ، لكنها غفلة من موجب لحقك ، عارف شغله عنك ما يقسم قلبه ، متكلاً على معرفتك به ، وبسط عذرك له ، على اني ظننت انما كنت عليه اولاً قد زال فيما بيننا وبينك ، اذ كنا قد احللناك على محمل الشريك ، وخالطناك بانفسنا خلط النسيب ، لتنفق من نفقتنا ، وتقرن امرك بامرنا ، وقد امرت لك بالفي درهم رزقك لشهرين ، فاقبضها ولا تنظرن لي امراً بعدهما في مثلها عند وجوبها ، وامرت لك بالفي درهم تصلح بها حالك ، وقد اطلقت بعد هذا يدك في المال لتأخذ منه كفايتك ، وفضلاً يكون عدة لك لما لا يؤمن من عثرات الدهور ، وحوادث الامور ، فانك لم تصحبنا الا بقلب وامق ، وودّ صادق ، وانا لنحب ان يتبين عليك لنا اثر محمود ، تغتبط به ونغتبط عليه ، فاعمل على ذلك ان شاء الله » .

وكتب يوسف بن القاسم الى محمد بن زياد : حفظك الله وحاطك ، رأيتك اكرمك الله في خرجتك هذه رغبت عن مواصلتنا بكتبك ، وابلاغنا خبرك ، وقطعتنا قطع ذي السلوة او اخي الملة ، حتى كأنك كنت الى مفارقتنا مشتاقًا ، اوالى البعد منا توّاقًا ،

فوقع بعدك بحيث تحب من جهتين ، احديهما حلاوة الولاية ، والاخرى لذة الراحة منا ، فان يكن ذلك كارحبناه (؟) قاطعناك مجملين ، اولبسناك على يقين ، وان لم يكن إدلالاً بهدية اعددتها لنا من ناحية عملك ، فليس قدر الهدايا وان كثرت ، ولا الفرائد وان جلت ، احتمال لوم الاخوان ، اذ كانت الهدايا انما تراد لهم ، والفرائد انما تُنال بهم ، والمباهاة باعراض الدنيا تراد لخلطهم ، وما ادري ما اقول في اختيارك ترك الكتب المحدثة ، عن العتب بالاسرار المفهومة ، حتى كأنها محاثة(؟) الحضور ، على تنائي الدور ، والقلوب بها مشاهدة ، وان كانت الابدان متباعدة ، ولئن كذب فيك الرجاء لقديما (؟) عن الوفاء وقد اصبتك من مرارة العتاب ، بما لا نقيم بعده على قطيعة ولا جفاء .. ولا يتوهمن اني اردت إعناتك باعتابي ، ولا ازراءً عليك بكتابي ، فان وصلت فمشكور ، وان قطعت فمعذور والسلام » .

زوج يوسف بن القاسم ابنه احمد بابنة الحسن بن سليمان و يعرف بالشيعي ، وكان من كتاب البرامكة ، فكتب اليه يحيى بن خالد : عرضت حاجة فكرهت ان اعدل بها عن الوزير فأبخسه مع معرفتي بمحبته ، لربيب نعمته ، والزيادة في صنيعته ، حظاً ولزمني حق لا يمكن دفعه ولا تأخيره ، وهو نقد مهر عن احمد الى ابنة الحسن بن سليمان ، فان رأى الوزير ان يوقع مع ما استحققته من ارزاقي لشهرين سلف لشهرين فعل ، فاني ارجو ان ابلغ بذلك لعبده احمد محبته ، وانال بغيته ان شاء الله .

فوقع يحيى اليه : هذه فضيلة من اوليائنا ، وحقوق في ضيافنا ، فنحن بالقيام منها دونك حريون ، و بحط ثقلها عن مالك جديرون ، وقد امرت لاحمد بقدر ما سألت من المال بمسألتك فيه ، وزيادة الضعف استظهاراً مني له ومؤكداً ، وامرت باستحقاقك لشهرين من مال السلطان اعزه الله ، ومثله صلة من مالي ، وانفذت اليك بذلك كله رقاعاً بخطي الى من يقبض ذلك منه ، فاما السلف من مال السلطان فلا سبيل اليه ولا اعرف جعفراً بتارك احمد اليك ، ولا الينا ، كما لم يترك الفضل قاسماً ان شاء الله »

وفي اسفل الرقعة من شعر يحيى :

عندي لمثلك احسان وتكرمة فثق بذلك مني وابسط الاملا
اعمل على ثقة اني انا رجل لاامنع المرء موجوداً اذا سألا

وان عندي لك الحسنى ونافلة　　بنصح عينك اذ لم تبغ لي بدلا

فكتب اليه يوسف بن القاسم :

فهمت ما قلت في بري ومنزلتي　　ونصح عيني و بسطي نحوك الاملا
ولم ازل فيك من امري على ثقة　　لا ابتغي بك ممن قد ترى بدلا
بصدق وعدك اذ اسلفت عارفة　　وحسن عفوك عمن زاغ او جهلا
فبي و بابنيَّ وسم في محبتكم　　كما تعرفتَ من نيرانها الابلا
فقد بسطتم لنا جاهًا بجاهكم　　وقد كفيتم ببذل العرف من بخلا
لولا كم كان جود الناس مشتبهًا　　لكن برعتم فأضحى جود كم مثلا

قال معاوية بن صالح فلقيني من الغد القاسم منصرفاً من عند الفضل بن يحيى ، فأعلمته ما كان بين يحيى وبين ابيه ، فقال : قد امر لي الفضل لما بلغه خبر ابي واحمد اخي — بثلاثين الف درهم . قلت : فما عزمك ان تعمل فيها وانا اقدّر ان نقول اشتري بها ضيعة فقال : ارفد بها اخي احمد في عرسه . قلت : فان اخذها كلها (؟) قال — وان فلا بأس .

للكلام صلة

محمد كرد علي

